

الفيلم الوثائقي والتضليل الإعلامي خلال جائحة كوفيد 19**دراسة تحليلية نقدية للفيلم الفرنسي "هولد أب Hold-Up"****Documentary Film And Misinformation in the Era of COVID-19
« Critical Analysis of the French documentary « Hold Up**¹ د. نبيلة جعفري جامعة أم البواقي، الجزائر، djaafrinabila@outlook.fr² د. رحموني لبنى، جامعة أم البواقي، الجزائر، Rahmouni.Loubna@univ-ueb.dz

تاريخ الاستلام: 2020/12/13 تاريخ القبول: 2021/02/06 تاريخ النشر: 2021/02/17

ملخص:

يقدم هذا المقال دراسة نقدية تحليلية لواحد من أهم الأفلام الوثائقية التي أثارت جدلا واسعا خلال جائحة كوفيد 19، وقد بين التحليل من خلال نتائج الدراسة أن قوة الفيلم تكمن في قدرته على نشر المعلومات المغلوطة من خلال التساؤلات المشروعة حول إدارة الأزمة الصحية المرتبطة بالوباء، والاعتماد على التناقضات لنشر أطروحة المؤامرة، وهو في سبيل ذلك يعتمد بالأساس على شخصيات يعرف عنها تمتعها بالمكانة العلمية المرموقة في المجتمع من أجل نشر المغالطات، ويأتي ارتداء الأقنعة على رأسها، كما يوظف الصوت والحوار والموسيقى المأساوية لتحقيق التأثيرات المطلوبة.

كلمات مفتاحية: الفيلم، الفيلم الوثائقي، التضليل، الأخبار الكاذبة.

Abstract:

This is a critical analysis of one of the most polymic documentaries in the COVID 19 Era, It shows that the power of the film comes from its ability to distill false information and legitimate questions about the management of the health crisis, and to rely on the real contradictions and reversals of the government to deploy a conspiracy argument.

* المؤلف المرسل: د. نبيلة جعفري djaafrinabila@outlook.fr

It relies on so-called experts best known for their controversies, distorts the conclusions of some reports (notably on the wearing of masks), and masters the art of insuniation perfectly through voice-over and agonizing sound effects.

Keywords: film, documentary, misinformation, fakenews

1. مقدمة:

خلفت جائحة كوفيد -19 آثارا بالغة قد تمتد طويلا في حياة المجتمعات البشرية، لأنها شكلت-كظاهرة صحية-حدثا هاما لم يكن يمر دون توثيقه، حتى يحفظ في التاريخ كأهم ما عاشه إنسان العصر الحديث على المستوى العالمي، بسبب انتشار فيروس كورونا المستجد الذي تسبب في مقتل الملايين في العالم، وعطل مسارات الحياة، والأنشطة اليومية للناس لأشهر عديدة، ولازالت تأثيراته متواصلة إلى غاية كتابة هذه الأسطر، وقد يمتد الأمر طويلا.

ولعل توثيق الحدث، وفق راهن الجائحة ستكون من أولى اهتمامات الباحثين والأكاديميين في مختلف التخصصات، من أجل التأريخ لظاهرة كوفيد 19، وبكل الوسائل المتاحة والممكنة من كتب تاريخية، ودراسات علمية في مخابر وكليات ومعاهد متخصصة، وفي مجالات الطب والتاريخ والإعلام والسياسة والاقتصاد وعلم النفس والثقافة والفنون، وتأتي السينما في هذا المجال كواحدة من أهم أدوات التأريخ لهذه الظاهرة، كما هو الشأن لغيرها من الظواهر الأخرى.

فالحجر الصحي الذي فرض قسرا على مختلف الأنشطة الثقافية عبر العالم قد أغلق تقريبا صناعة الترفيه بأكملها، لكنه بالتأكيد فتح الفرص أمام صانعي الأفلام الوثائقية، الذين وجدوا في الفيروس وانتشاره وحالة الفوضى والهلع التي أثارها موضوعا جديدا يمكن المزاجية فيه بين دراما الوقائع وسيل المعلومات التي كانت تتدفق تباعا من مخابر البحث العالمية، غير أن الشرط الأساسي تجاه توثيق الحدث - تاريخيا على الأقل - هو نقل الحقيقة كما

هي دون تحريف أو تزيف أو تضليل، وبالاعتماد على المصادر الموثوقة والمعلومات الدقيقة، لكن الملاحظ خلال فترة انتشار الفيروس تزايد معدلات استخدام الميديا الاجتماعية بسبب الحجر، الأمر الذي أدى إلى تغييرات ملحوظة على مستوى بيئة تلقي واستخدام ونشر المعلومات على الفضاء الافتراضي، منها انتشار الأخبار المغلوطة والزائفة حول الوباء، وطرق انتشار الفيروس ووسائل الوقاية والتخلص منه، وامتد الأمر لغاية الحديث عن مؤامرة عالمية لنشر الفيروس على المستوى العالمي من أجل إخضاع البشرية، في نسق وصفه البعض بالدجل المعلوماتي، دفع بمنظمة الصحة العالمية إلى التدخل ووصف الظاهرة بوباء المعلومات، الذي لا يقل خطورة عن الفيروس نفسه.

هذه البيئة المعلوماتية أثرت على صناعة الفيلم الوثائقي على المستوى العالمي، من حيث المواضيع المتناولة، وطريقة معالجتها كذلك، وتزايد الجدل بخصوص الأفلام التي خلقت صدمة للمتلقين بسبب خروجها عن المألوف، ومخالفتها لتوقعاتهم، وتسويقها لمعلومات تخالف ما اعتادوا سماعه ومعرفته عن فيروس كورونا المستجد وطرق التعامل معه ومحاربتة، ومن بين هذه الأفلام فيلم " *Hold Up* " الوثائقي الفرنسي الصادر بتاريخ 11 نوفمبر 2020، والذي أثار جدلا بسبب المعلومات التي احتواها المضمون، والتي صنفت من قبل منظمة الصحة العالمية وكبريات المخابر على أنها معلومات مضللة، وقامت شركات الاتصالات الكبرى وتقوم لحد الساعة بحجب الفيلم ومحاربتة.

وتأتي هذه الدراسة استنادا إلى ما سبق ذكره، لتحاول البحث في مستويات التضليل الإعلامي الذي تضمنه الفيلم المذكور من خلال محاولة الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما مدى مصداقية المضامين الإعلامية في الفيلم الوثائقي *Hold Up* بالاعتماد على معايير التحقق *Checknews*؟

- ما الأساليب الإقناعية التي وظفها صناع الفيلم في طرحهم للأفكار؟

- ما هي جماليات الفيلم المذكور التي تم توظيفها وما دورها في التسويق للمعلومات فيه؟

وتستمد هذه الدراسة أهميتها من خطورة الانتشار المتسارع للأخبار المضللة في وسائل الإعلام المختلفة، حيث بدأت الظاهرة تأخذ أبعادا أخلاقية ومهنية تمس بمصداقية الممارسة الإعلامية، وأيضاً أبعادا سياسية وأمنية. كما تستمد أهميتها من تناولها لمدى مصداقية الفيلم الوثائقي في وقت الأزمات، ومدى اعتباره أداة لمواجهة الوباء المعلوماتي الحاصل بشأن هذه الجائحة.

ونهدف في بحثنا هذا أساساً إلى معرفة مدى مصداقية الفيلم الوثائقي خلال وقت الأزمة، التي تعتبر الأرضية الخصبة لانتشار الأخبار المضللة، وذلك من خلال التعرف على مصداقية المضامين الإعلامية في الفيلم الوثائقي *Hold Up* ، والتعرف على الأساليب الإقناعية التي وظفها صناع الفيلم في طرحهم للأفكار، بالإضافة إلى التعرف على جماليات الفيلم المذكور التي تم توظيفها في التسويق للمعلومات فيه.

2. الإطار النظري للدراسة:

1.2 - عن الفيلم الوثائقي:

1.1.2 - تعريف الفيلم الوثائقي:

لا يزال الخلاف إلى الآن قائماً حول تعريف الفيلم الوثائقي وتحديد ماهيته، وتعددت تعريفاته عبر مراحل تطور السينما في العالم، منها ذلك الذي قدمه الاتحاد الدولي للأفلام الوثائقية 1948، حيث عرفه بأنه "كافة أساليب التسجيل على فيلم لأي مظهر للحقيقة، يتم عرضه إما بوسائل التصوير المباشرة، أو بإعادة بنائه بصدق وعند الضرورة. وذلك لحفز المشاهد إلى عمل شيء، أو لتوسيع مدارك المعرفة والفهم الإنسانية، أو لوضع حلول واقعية لمختلف المشاكل في عالم الاقتصاد أو الثقافة أو العلاقات الإنسانية. وهو نوع من الأفلام التي تتخذ مادتها من الواقع، سواء أكان ذلك بنقل الأحداث مباشرة كما جرت في الواقع، أو عن طريق إعادة تكوين وتعديل هذا الواقع بشكل قريب من الحقيقة الواقعية.¹

ويمكن تحديد البعد الموضوعي للفيلم الوثائقي من خلال مادته الوثائقية، حيث يعتمد مصدر الصورة على الواقع الحي المباشر؛ أي المادة الواقعية الموجودة موضوعيا، وغير المختلفة والتي تنتقل فيزيائيا على طبقة الفيلم الحساس، وحيث يمكن الاعتماد عليها كوثيقة قائمة بذاتها، وباعتبارها وثيقة فهي متزامنة مع الأحداث، ومتزامنة مع هيئة الواقع لحظة تصويره، وليس هناك تنظيم شكلي مسبق للصورة إلا ما تراه العين من منظر الكاميرا، وليس لهذه الكاميرا أن تسعى إلى زينة أو زخرفة إلا ما يعرضه الواقع ذاته، وليس هناك تكتيكات للتلاعب بالصورة وتفرض وجودها على الواقع.²

2.1.2- عناصر الفيلم الوثائقي:

تقوم السينما الوثائقية على استخدام العناصر الآتية في التعبير عن الواقع:³
الممثل غير المحترف؛ الصورة الفوتوغرافية؛ المواد الأرشيفية؛ المقابلات واللقاءات (المباشرة)؛ التصوير (الإضاءة، الضوء الطبيعي)؛ العناصر الصوتية (التعليق، الموسيقى، الأغنية، المؤثرات البصرية، الصمت)؛ المخططات التوضيحية والرسوم المتحركة.
إذن، فالفيلم الوثائقي هو نتيجة تحصيل مهني جراء تراكمات الممارسة التصويرية في معادلة مفادها: مخرج+كاميرا+مسجل صوت= فيلم. وهذا الفيلم يكون تسجيلا لما يلتقطه المخرج وينسقه دون اللجوء إلى الرواية.

3.1.2- وثائقي الويب:

مثلما انتشر التدوين في مرحلة ما، ومثلما تغير شكل السرد القصصي والروائي، واختلقت لغته مع ظهور جيل جديد من الشباب، خصوصا في مستهل الألفية الثالثة كحالة من التمرد على القيود المكبلة للنشر ومعوقاته المادية، والرغبة في الإفلات من هيمنة جيل بعينه، كذلك كان هناك عدد من مخرجي الأفلام الوثائقية والمصورين يبحثون عن أساليب جديدة لتقديم قصصهم وسردها، فظهر مصطلح وثائقيات الانترنت لأول مرة سنة 2002، في مهرجان سينما الواقع بباريس، وكان أول عمل اتبع المعايير - وفق آراء المختصين - بعنوان

"مدينة الأموات"، والذي ظهر عام 2005. ثم في عام 2010، أصبح هناك قسم خاص ومستقل، يعرف بأفلام "الويب دوك"، والتي استحوذت على اهتمام شريحة كبيرة من الجمهور، حتى أن بعض أفلامه زارها آلاف من المشاهدين في أيام قليلة.⁴

إن جملة التغييرات التي رافقت حضور الفيلم الوثائقي على الويب لم تتضمن فقط التحولات التقنية والمتضمنة لمستويات الإنتاج، العرض والتوزيع..إلى غير ذلك، وإنما شملت تغيرات حتى على المستوى المفاهيمي، بناء على تمظهرات جديدة للفيلم الوثائقي، كالخاصية التقنية التي أصبح يتميز بها، مساحة العرض المستخدمة، العلاقة مع الجمهور..إلى غير ذلك، وبالتالي أصبح يطلق عليه مجموعة من المصطلحات كالوثائقي التفاعلي Interactive documentary، ووثائقي الإعلام الجديد New media documentary، الوثائقي غير الخطي Unlinear documentary، ووثائقي الملتيميديا Multimedia documentary، ووثائقي الويب Web documentary.⁵

ويعرف وثائقي الويب بأنه الفيلم الذي يصنع خصيصا لكي يعرض من خلال شبكة الانترنت، سواء عبر ما يسمى بالمدونات الشخصية، أو عبر المواقع المختلفة، المتخصصة في التعريف بمناطق معينة في التاريخ والحاضر مثلا، أو المواقع العامة التي تخدم أغراضا متعددة.⁶

2.2- التضليل الإعلامي والمفاهيم المقاربة:

التضليل في اللغة من الفعل ضلّ، وهو ضد الهدى والرشاد. ويقال أضللت فلانا أي أحدثه عن الطريق، والتضليل كثير الضلال.

ولا يعد مفهوم التضليل الإعلامي بشكل عام هو الكذب؛ لأن الكذب هو عكس الحقيقة، ومفهوم التضليل الإعلامي كي يحقق مغزاه لا يجب أن يكون عكس الحقيقة، لكنه يجب أن يحتوي على جزء من الحقيقة لكي يخفي معالم التضليل ويستتكر وجوده.⁷

ويشير المصطلح إلى محاولات مصادر، تعلن عنها، أو غير تعلن عنها للتلاعب بالرأي العام أو بجهات أخرى عن طريق وسائل الإعلام، وباستعمال معلومات كاذبة أو مفبركة أو ممسوحة أو إخفاء معلومات حقيقية، لتحقيق أهداف سياسية أساسا.⁸ وتتداخل ضمن بوتقة هذا المصطلح عدة مفاهيم، سنذكر منها الأخبار الكاذبة والأخبار المضللة لشيوعهما الأكثر:

فالأخبار الكاذبة: وفقا لـ"غاي كامبانيل" قصص مصنعة من العدم، وبمعظم التدابير، عمدا، وفي تعريفها هي عبارة عن أكاذيب.⁹

أما الأخبار المضللة: فتحمل معلومات حقيقية موظفة في سياق خاطئ، وغالبا ما تحمل حقائق واقتباسات تم انتقاؤها بدقة وعناية، من الصعب كشفها بسهولة.¹⁰

كما انتشر مؤخرا مصطلح "الوباء المعلوماتي"، خاصة مع ظهور جائحة كورونا، والذي يشار به إلى السيل الجارف من المعلومات على شبكة الانترنت وخارجها، ويتضمن المحاولات المتعمدة لنشر معلومات خاطئة بهدف تفويض الاستجابة في مجال الصحة العامة، وخدمة أهداف بديلة جماعية أو فردية. وهذه المعلومات الخاطئة والمضللة من شأنها أن تؤدي لإلحاق الضرر بصحة الناس الجسدية والنفسية، واستفحال ممارسات الوصم، وتهديد المكاسب الصحية الثمينة، وتشجيع عدم التقيد بتدابير الصحة العامة. مما يحد بالتالي من فعاليتها، ويهدد قدر البلدان على وقف مسار جائحة كورونا.¹¹

1.2.2-أساليب وأهداف التضليل الإعلامي:

أخذ التضليل الإعلامي عدة أنواع، تؤدي كلها لتحريف وتحويل المعلومات عن مسارها الطبيعي والحقيقي، وهدفها في كل الحالات واحد هو التأثير على الرأي العام واتجاهاته، وكل ذلك لا يتم دون وسائل الإعلام، التي هي شريك أساسي للسلطة. وهذه الأنواع تأخذ أشكالا وأساليب متعددة، سواء كانت إخبارية أو برمجية أو ترفيهية، وفي ذلك

التموّه خطورة أكبر؛ لأنه يضمن للتضليل الإعلامي الوصول لكل فئات الجماهير. ومن تلك الأساليب نذكر: ¹²

- التحريف: وهو ما تقوم به وسائل الإعلام من تحريف الكلام بالقص والحذف.
- التعتيم: عن طريق إخفاء المعلومات لأهداف وغايات محددة.
- التتكير: وهي صياغة الأخبار بصيغة المبني للمجهول.
- لفت الأنظار: عن طريق الحديث عن أحداث مفتعلة للتعطية على أحداث هامة ومصيرية.
- التجاهل: تجاهل مواقف وسياسات وأحداث لأجل غايات سياسية واقتصادية ودينية.
- التشويه: عن طريق التلفيق وتكذيب الأخبار.
- التدليس: إلهام المتلقي أن الأخبار من مصدر أصلي موثوق خلافا للحقيقة.
- دس السم في العسل: عن طريق تقديم نصف الحقيقة، والنصف الآخر مختلق.
- التكرار: عن طريق تكرار الخبر بأساليب مختلفة للتأثير في الرأي العام لأغراض خاصة.

وهناك العديد من الأهداف التي يسعى إليها من يقومون بعملية التضليل الإعلامي، منها التعتيم على الأخبار الحقيقية، أو حجب المعلومات عن العدو وتضليله عن طريق مجموعة من الأخبار. كما يمكن أن يستخدم التضليل الإعلامي لإخفاء جرائم الحرب، والمهمات غير الأخلاقية التي يتم ارتكابها، أو في تهميش القضايا المهمة وصرف اهتمام الجماهير عنها، أو لإحداث تغييرات في سلوك الأفراد أو الجماعات. ¹³

2.2.2- الأخبار الزائفة في زمن جائحة كورونا:

تعد فترة الأزمات التي قد يمر بها مجتمع ما، أنسب وأفضل بيئة تترعرع فيها الأخبار الزائفة، وتنمو فيها الشائعات، وعلى سبيل المثال ما عاشه العالم خلال هذا الظرف

الاستثنائي منذ ظهور فيروس كورونا. حيث شهدنا عددا كبيرا من المنشورات المتضمنة لأخبار مفبركة، بما فيها فبركة وبلاغات رسمية ومؤسساتية لإيهام المتلقي بإصدار هذه المؤسسات لقرارات ومستجدات جديدة، وكذا نشر أخبار ذات صلة، وحقائق ناقصة وغير كاملة ومشوهة، تهم الحالة الوبائية بالبلاد وما صاحبها من إجراءات مواكبة، ومن النماذج القائمة أيضا، أنه بإعلان حالة الطوارئ الصحية، سارعت بعض الصفحات إلى نشر أخبار عن نفاذ مخزون المحلات والمتاجر من المواد الغذائية الأساسية، مما سبب ذعرا وقلقا نفسيا لعدد كبير من المواطنين، ودفعهم إلى الانكباب على هذه المحلات، الأمر الذي أدى إلى خلق ازدحام وفوضى كبيرين، وبالتالي خرق شرط التباعد الصحي للوقاية من الإصابة بالفيروس.¹⁴

3. الإجراءات المنهجية والتحليل النقدي لفيلم *Hold Up*:

1.3- منهج الدراسة، عينتها وأدوات جمع البيانات:

تمت الاستعانة في دراستنا هذه بمنهج التحليل الفيلمي، وتحديد المنهج النصي في تحليل الفيلم؛ للوقوف على عناصره ومكوناته. ويقصد بالتحليل الفيلمي: الوصف المنظم والدقيق للطريقة التي يحاول من خلالها هذا الفيلم أن يقول الأشياء ويربها للمشاهد، وبمعنى آخر تأويلها¹⁵، معتمدين في ذلك على العينة القصصية التي يقوم فيها الباحث باختيار مفرداتها بطريقة تحكمية لا مجال فيها للصدفة¹⁶؛ وذلك باختيار الفيلم الوثائقي الفرنسي "*Hold Up*"، الذي نشر في 11 نوفمبر 2020 على منصات الانترنت خاصة الفيميو، والذي يتساءل حول مدى أهمية الإجراءات الاحترازية التي تم اتخاذها في فرنسا لمواجهة فيروس كورونا، وهو من إخراج *Pierre Barnérias, Nicolas Réoutsky et Christophe Cossé* ، وتمويل الجمهور، ودامت مدة عرضه 163 دقيقة.

ولتحليل هذا الفيلم تمت الاستعانة بالعناصر الآتية:

- الفيلم *Hold Up* كنص (خطاب)، وضعه صاحب الفيلم كوحدة خطاب، وهو تشغيل مركب من رموز اللغة السينمائية (صورة + صوت)¹⁷.
- الأدوات الوصفية: *instruments descriptifs*: وتضم هذه الأدوات العناصر التالية:
- التقطيع التقني: ويرتكز على: اللقطات والمشاهد، فاللقطات *plans*: تشمل أساسا: سلم اللقطات، زاوية التصوير، وحركات الكاميرا، في حين يركز شريط الصوت *bande sons* de: ويشمل: الموسيقى، الصوت والحوار، والمؤثرات الصوتية... أما شريط الصورة *bande image* de l' : فيركز على محتوى الصورة، الشخصيات، المكان والتفاصيل الأخرى.
- التجزئة *segmentation*: ومن خلالها تم تحديد مشاهد الفيلم، تمهيدا للاختيار منها.
- وصف صور الفيلم *description des images*: وتعني تحويل الرسائل الإعلامية والمعاني التي يحتويها الفيلم إلى لغة مكتوبة، وتعطي هذه التقنية التفاصيل الخاصة بمحتوى الصورة.¹⁸

- الاعتماد على الوثائق السابقة واللاحقة لعملية النشر: وهي مجموع المعطيات العالمية الخارجة عن الفيلم، لكنها قابلة للاستعمال أثناء التحليل، وتقسّم إلى معطيات سابقة لنشر الفيلم (كتابة السيناريو، الإنتاج، خطة الإنتاج، سجل التصوير...، ومعطيات لاحقة لعملية النشر، وتتعلّق أساساً بالتوزيع، عدد المشاهدين، النسخ، المداخل، نموذج النشر، المعطيات النقدية، والخطابات التي أثارها الفيلم¹⁹.

2.3- التحليل النقدي للخطاب السينمائي في الفيلم الوثائقي *Hold Up* :

كشف التحليل النقدي للفيلم المذكور عن مجموعة من النتائج يمكن توصيفها على النحو

الآتي:

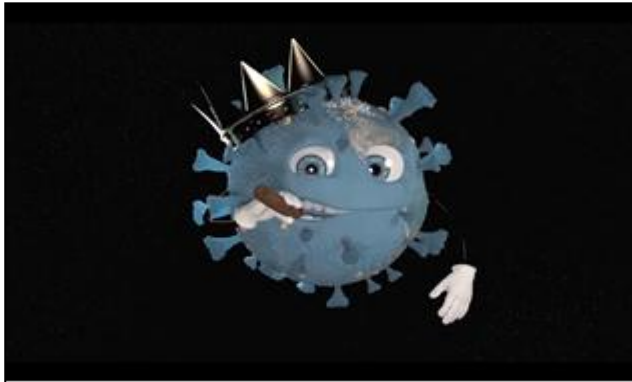


ملصقة الفيلم

فيما يتعلق بمدى مصداقية المضامين، والأساليب الإقناعية التي يتم توظيفها لتمرير المعلومة في فيلم Hold Up الوثائقي:

- العنوان والملصقة : جاء عنوان الفيلم *Hold Up* (السطو)، متبوعا بالعنوان الفرعي *Retour sur un Chaos*، واللافت للانتباه أن العنوان يحيلنا مباشرة إلى غموض يحيط بمضمون الفيلم يتعزز بالعنوان الفرعي، " العودة للفوضى"، في رسالة ألسنية توحى بتبني صناع الفيلم منذ البداية لأطروحة المؤامرة، وهي النظرية التي غدت مسار العلاقات الدولية في السنوات الأخيرة تحديدا، في شقيها الاقتصادي والسياسي كذلك.

وتبدو خلفية صناع الفيلم منذ الوهلة الأولى من خلال الملصقة، والعنوان، فهي مشبعة بنظرية المؤامرة، التي تلخص الفكر الذي يتغذى من كتابات مفكرين وباحثين من مختلف البلدان في العالم، من بروتوكولات حكماء صهيون، إلى رواية شفرة دافنشي للمؤلف دان براون (2005)، إضافة إلى كتب مؤامرة الحادي عشر من سبتمبر (الكذبة الكبرى للفرنسي تييري ميسان، اليوم الحادي عشر لأنتوني سامرز، بيرل هاربر الجديدة..) والمؤامرات الأمريكية لجيسي فينتورا (اغتيال لينكولن، جون كينيدي، فضيحة ووتر جيت، أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001)، وصولا إلى النظام العالمي الجديد لبات روبرتسون، الذي يتحدث عن نظرية المؤامرة متكاملة تشترك فيها مجموعات من الماسونيين، والمتتورين في منظومة تتحكم بالعالم، وتسيطر على ثرواته وموارده²⁰.



فوتوغرام من الفيلم

ادعى المؤلفون أنهم يروون القصة السرية لكوفيد19 (ويبدو ذلك من خلال الفوتوغرام السابق، الذي سخر واضعه من كورونا التي سيطرت على العالم، واستهزأ بالإجراءات المتخذة لاحتواء الفيروس)، مستضيفا مجموعة من الضيوف، بما في ذلك بعض الأسماء المرموقة مثل وزير الصحة الفرنسي السابق "دوست بلازي" الذي ندد بالفيلم بعد نشره. وطرح الفيلم عديد الأسئلة التي لا تزال دون إجابة حول أصل الفيروس، كما يطور الفيلم النظرية القائلة بأن هذه الأزمة الصحية برمتها، ليست سوى مؤامرة النخبة للسيطرة علينا بشكل أفضل، وحتى لتقليل عدد سكان العالم²¹، ويرى "سيلفان ديلوفيه"، الباحث في علم النفس الاجتماعي بجامعة رين2، أنه "فيلم في لبوس شريط وثائقي، لكنه ليس فيلما وثائقيا صحفيا، هناك هدف واحد: نقل فكرة أن هناك مؤامرة عالمية واسعة"²².

- **مضمون الفيلم:** تضمن الفيلم مجموعة من القضايا الأساسية التي لها علاقة مباشرة بكوفيد 19، أما في بداية الفيديو فتسود نبرة الشك والعقل النقدي، إذ يبدأ بطرح جملة من الأسئلة والانتقادات التي ظهرت في النقاش العام منذ الربيع الماضي حول ارتداء الكمامات، والآثار الضارة المحتملة للحجر الصحي، وأصل الفيروس أو دور جماعات الضغط الصيدلانية²³، ويأتي المشهد الافتتاحي في الوثائقي في شكل لقطات صدرية مقربة ذات خلفية سوداء لشخصيات هامة، مرفوقة بخطاب ألسني يتضمن أسماء الشخصيات ومكانتها في السياق المجتمعي، وتبدو كلها ذات مكانية علمية مرموقة (Michael Levitt عالم كيمياء حائز على جائزة نوبل)، (Astrid Stuckelburger، طبيبة وأستاذة جامعية)، (Michael Yeadon مدير البحث السابق في مخابر Pfizer)، صحفيون وأخصائيون نفسانيون، باحثون في أنثروبولوجيا الصحة.. وإلى غير ذلك من الشخصيات التي تم توظيفها توظيفا غائيا، جعل المشهد يبدو مرعبا عند بدايته، موعلا في الإثارة والغموض، مرفقا برسائل ألسنية واضحة وصريحة، تحيل المشاهد مباشرة إلى كم من الأسئلة التي تطرح بذكاء، وتتهم جهات

ما بما يقال بأنه جزء من **التضليل والمؤامرة**، تشترك فيها جهات عديدة منها منظمة الصحة العالمية ذاتها.



فوتوغرام من الفيلم

- الجزء الأول من الفيلم (حتى الدقيقة 28 د): يبدأ هذا الجزء **بأسلوب العرض المنطقي للحقائق والتدرج فيها**، ويثير في قالب تشويقي مصحوب بموسيقى هادئة غامضة مجموعة التساؤلات، تحاول أن تقول للمشاهد أنه جزء من مجموعة كبيرة من الناس في العالم، ممن جرى التلاعب بهم خلال الجائحة، وأن الشخصيات في الفيلم تحاول أن تتبرر طريق هؤلاء. الناس ينبرونك في مواجهة واقع يتعرضون له، ويمنحونهم الوسائل العقلية اللازمة لمحاربة هذا الواقع بشكل يبدو مقنعا للغاية، ويعطي انطبعا بمصدقية وواقعية المضمون المعالج.

ويطرح المخرجون في هذا الجزء **فكرة لا جدوى إجراءات الحجر المنزلي**: "يمكننا التغاضي عن حجر منزلي لمرة واحدة، لكن الحجر لمرتين لا يمكن التغاضي عنه"، وهم يرون بأن الحجر - فضلا عن كونه يسلب حرية الفرد - فإنه قائم على حجج غير منطقية، وهنا **يستعين صناع الفيلم بالإحصائيات** التي تم تقديمها حول تزايد الوفيات خلال فترة الحجر تحديدا (إحصائيات INSEE)، وتعاضمها في الفترة الممتدة من 15 مارس إلى 15 أبريل تحديدا، عكس ما تشير إليه الإحصائيات، وفي السياق ذاته يقارن الفيلم تجربة فرنسا في التعامل مع الوباء بتجربة السويد في ذات المجال، فالسويد اختارت حكومتها عدم تطبيق الحجر المنزلي، وراهنّت على الوعي داخل المجتمع بتطبيق إجراءات التباعد، وهي بالرغم من عدم تطبيقها للحجر سجلت معدلات وفيات أقل بكثير من فرنسا في ذات الفترة، غير أن

الأمر لا يبدو بالسطحية التي عرضها الفيلم، ففي السويد تم تطبيق ميكانيزمات أخرى للحد من انتشار الفيروس، طبقت بصرامة، ويأتي في مقدمتها: التباعد الاجتماعي، وارتداء الكمامات، ثم إن مقارنة الوفيات لا تتم بالأعداد كما طرحها الفيلم، ولكن بمقارنة نسبة الوفيات إلى عدد السكان وهو الأصح.

- كما تحدثت شخصيات الفيلم عن الأفعنة الطبية، وعدم جدواها في القضاء على الفيروس، وقدموا ثلاث وثائق تبدو أنها متناقضة من منظمة الصحة العالمية، تنفي أن تكون هذه الأخيرة قد دعت إلى ارتداء الأفعنة، وبأن الإجراء ذاته غير فعال في الحد من انتشار الوباء، وتتالت الصور واللقطات المقربة والمتوسطة والعامة كذلك التي تصور أشخاصا يعانون جراء ارتداء الأفعنة الطبية (حساسية، التهابات...)، وجعلت الوضع على مستوى السلوك البشري يبدو أنه أحال البشر على حالة من الفزع والرعب، وغير ملامح الحياة في أشهر قليلة، وتم الاعتماد في هذا الإطار على العقل بتصوير شهادات الأطباء والمختصين، والأشخاص الذين يعانون من أزمات تنفسية وغيرها من الأمراض الناتجة عن ارتداء هذه الأفعنة، ومرة أخرى يعتمد صناع الفيلم إدخال المشاهد إلى قلب الصراع القائم حول الكوفيد، ليحس بأنه جزء من تعميم، وتضليل تمارسه جهات خفية على مستوى عالمي.

وبتطبيق تقنية التحقق من المعلوم (CheckNews)، بالرجوع إلى المصدر هنا، وهو موقع المنظمة ذاتها، تبين لنا أن منظمة الصحة العالمية في توصياتها للقضاء على الفيروس في آخر تقرير لها في أكتوبر 2020، صرحت بأن كوفيد 19 ينتشر في كافة المجتمعات الإنسانية، وخاطبت الناس في كل مكان أنه بإمكانهم حماية أنفسهم من خلال اتخاذ بعض الاحتياطات البسيطة، مثل الحفاظ على مسافة التباعد مع الآخرين، وارتداء الكمامات " فكر في ارتداء كمامة عندما تكون مع الآخرين"²⁴.

- الجدل العلمي القائم حول عقاري الهيدروكسي كلوروكين، والريفوتريل: وفي نسق تصاعدي من السرد الفيلمي، يتواصل رصد المفارقات الكبرى حول الجائحة من وجهة نظر الفيلم، فبعد عرض الجدل القائم والادعاءات بأن الأطباء يحصلون على مكافآت مالية جراء التبليغ عن حالات كورونا، وهو الأمر الذي لا يقبله المنطق، جاء الدور على العلاجات والأدوية الخاصة بعلاج المرضى المصابين بالوباء، بداية بالهيدروكسي كلوروكين الذي أثار جدلا عالميا منذ اقتراحه كعلاج رغم أنه موجه لعلاج فصيلة أخرى من فصائل فيروس كورونا، ويدافع الفيلم الوثائقي عن أطروحة مفادها أن هناك "تحاملا" ضد بروتوكول ديديه راول، رغم أن الكثير من الأطباء عبر العالم اعتبروا الكلوروكين فعالا في علاج الوباء مثل كريستيان بيروني أو فيليب دوست بلازي. ويتهم المضمون العصابة المفترضة- عن طريق أسلوب التعارض-، بالعمل على تعزيز صناعة الأدوية لصالح شركات الدواء، منهم أطباء فرنسيون، مثل كارين لاكمب، والأميركي أنتوني فوسي²⁵، وهم الذين كانوا من مناصري الكلوروكين سابقا ثم انقلبوا عليه خلال الجائحة.

في ذات السياق طرح الفيلم مسألة عقار الريفوتريل (*Révo-tril*)، إذ يقول سيرج رادر، وهو صيدلي وناشط في حركة مكافحة اللقاحات، بأن الحكومة الفرنسية رخصت عملية اقتناء الريفوتريل، ومن خلاله نظمت عمليات القتل الرحيم للمسنين (هو مهدئ يستخدم في الرعاية التلطيفية. وصدر مرسوم في نهاية مارس لتسهيل اقتنائه من الصيدليات). ولكن لم يكن المقصود منه جعل القتل الرحيم ممكناً - غير قانوني - ولكن للتخفيف من نقص الميذازولام، والذي يستخدم لمساعدة المرضى على النوم في الإنعاش، وأيضاً في رعاية المرضى الذين وصلوا للحظات الأخيرة من حياتهم.

- أما الموضوع الأبرز والأهم الذي عالجه الوثائقي وتبناه فكرا ومنهجاً، فهو نظرية المؤامرة، وتبعاتها، وتجد نظريات المؤامرة والحقائق البديلة مكانها المميز على الأنترنت وعبر منصات التواصل الاجتماعي، يسهم في تغذيتها عجز المتلقين عن استقراء الأحداث

واستنتاجها، بسبب الإحباط الذي يعيشونه لأنهم لم يتمكنوا من توقع الكارثة، ولأنهم غير قادرين أيضا على معرفة مسبباتها، وقد أدى الفراغ الذي تسبب فيه غياب المعلومة المؤكدة إلى جعل كل ما يطرح من تفسيرات في ظل نظريات المؤامرة أمرا مقبولا ومعقولا من طرف إنسان عصر الجائحة، وهو ما اعتمده فيلم ' هولد أب' من خلال التدرج في عرض المفارقات، إذ لا يتم تقديم أطروحة المؤامرة الكبرى في البداية، مما قد يؤدي إلى رفضها من جانب المشاهد ، ولكن جلبت تدريجيا، ومع تقدم السرد، يصبح المرء أكثر عرضة لقبولها منطقيا، كما يشير فنسنت يزربيت أستاذ علم النفس في جامعة لوفان، "عندما تكون قد أمضيت الكثير من الوقت في المشاهدة، والبحث عن العناصر التي تشكل المغزى، فإنك تتجذب إلى الإيمان بنظرية المؤامرة"²⁶.

كل القضايا المضللة التي طرحها الفيلم تهدف في النهاية إلى ترويج فكر المؤامرة، ولا تتناولها صراحة بالحديث إلا عند الدقيقة 1.52د، عند اتهامات الطبيب "جان بيرنار فارتيلان" بأن السارس والكوفيد 19، تم إنشاؤهما عن طريق إدخال تسلسل الحمض النووي في فيروس منخفض الخطورة، وادعى بأن هناك براءة اختراع لاكتشاف الحمض النووي للكوفيد عمرها أكثر من 15 سنة، في حين أن الأمر في الأصل يتعلق ببراءة اختراع قدمها ريتشارد روتشيلد في الولايات المتحدة في 13 أكتوبر 2015 ، ولا توجد إشارات إلى **Covid-19** أو فيروس كورونا.

- تنتهي التحليلات من منظور الفيلم إلى اعتبار الفيروس مؤامرة عالمية يقودها المنتدى الاقتصادي العالمي، الذي يعقد سنويا في دافوس، إذ يستخدم "كوفيد-19" كجزء من خطة مكيا فيلية لإعادة إخضاع الإنسانية، يقودها الأغنى ضد الأفقر في العالم، واعتبر الصراع المحتدم بين القوى الاقتصادية العالمية هولوكوست يهدف إلى إبادة ملايين البشر، وبسط السيطرة على العالم مع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تقود حتما إلى الاستغناء عن

الإنسان، أو إخضاعه عن طريق التخويف والترهيب، فضلا عن خلق نظام اقتصادي مدمج بالتقنيات الرقمية (الجيل الخامس)، وهو نوع آخر من العبودية على النطاق العالمي، ويزداد الضغط على المشاهد وترويجه في نهاية الوثائقي بالحديث عن تقنيات المؤامرة وأساليب الإخضاع المنتهجة من قبل المتآمريين (التحريض بين المجموعات البشرية، بين الجنسين، بين الأجيال...).

فيما يتعلق بجماليات فيلم Hold Up الوثائقي ودورها في التسويق للمعلومات فيه:

نلاحظ أن أغلب مشاهد هذا الفيلم الوثائقي تتضمن الحديث عن مجموعة واسعة من الناس، يتراوح عرض تصريحاتهم بين شهادة أخذت مباشرة من الشارع وجها لوجه، إلى المقابلة المجهولة مع ضابط استخبارات سابق، إلى الخطاب الذي تم تصويره لشخصيات ذات قيمة علمية تذكر صفاتها أسفل الصورة، وهو النمط الغالب (مداخلات حضورية) ويتم في الاستوديو مع خلفية سوداء، تتضمن ملصقة الفيلم على شاشة واحدة أو على شاشتين يميناً ويساراً كما يوضحه الفوتوغرام الموالي.



- ولما كانت الصورة في الفيلم الوثائقي تتمتع بخصوصية مختلفة نوعاً ما عن الصورة في الفيلم الروائي، خاصة وأن الجمهور يربط بينها وبين الحقيقة المتوقعة، ويعتقد أنها واقعية بالنظر إلى جوهر الوثائقي الذي يبحث عن الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة، عكس الفيلم

الروائي الذي يمعن في الخيال ويرتكز على تجلياته، فإننا نلاحظ أن نظام الصورة في Hold Up يكثر فيه استخدام الترافلينغ، مقارنة باللقطات الثابتة التي جاءت قليلة جدا، وهو ما يدل على حرص القائمين على الفيلم على توجيه الخطاب داخل النص الفيلمي من خلال الكاميرا المتحركة، سواء كان ذلك عن طريق الترافلينغ أو عن طريق تغيير زوايا النظر بين الفينة والأخرى، فضلا عن الكاميرا المهتزة (Shaky cam)،

- كما يهتم التقنيون في الفيلم بتوظيف تقنية الشاشة المقسمة (Split Screen)، سواء كان ذلك التقسيم إلى نصفين، تظهر من خلاله اللقطة صورة للشخصية ذاتها مرتين، وثلاث مرات في بعض الأحيان (أنظر الفوتوغرام الموالي)، ومما لا شك فيه أن هذا الاختيار ينم عن حرص شديد على توجيه الاهتمام نحو الشخصية والأفكار التي تنقلها.

- بالنسبة للإضاءة والديكور، جاء الطابع الغالب للفيلم معتمدا على الخلفيات السوداء ذات الإضاءة الخافتة التي يتم توجيهها فقط للشخصية المقابلة (بفتح الباء)، في حين أن ديكور الفيلم يركز على نوعين أساسيين من الفضاءات، فضاء الاستوديو الداخلي، وتقنية الاستجواب، والديكور الخارجي، من خلال الفيديوهاوت التي يتم التقاطها لأشخاص في الخارج، سواء في الشارع، أو داخل المكتب، أو المنازل، وإجمالا يضاف إليها المونتاج في حد ذاته كفضاء الذي حرص على إخراج الفيلم في طابع كلاسيكي (خلفيات سوداء، ميكروفونات أعلى الشاشة، تقسيم الشاشة لإلأى نصفين أو أكثر لزيادة التركيز..)، وهي الطريقة التي تعتمد بدرجة أكبر في التحقيقات والوثائقيات المعدة للتلفزيون.

في النهاية يمكن القول أن فيلم هولد آب الوثائقي لا يحتوي على جماليات تميزه عن غيره من الأفلام الأخرى، وهو لا يشبه الكثير من الأفلام الوثائقية ذاتها، بل لا يملك المخرجون فيه حس الإخراج الوثائقي بقدر ما كان تركيزهم على إعداد فيلم على عجلة، بطريقة لا تعطي للصورة ولا للصوت ولا لجماليات الوثائقيات أهمية بقدر ما تركز على تمرير فكر

وأطروحات من قبيل المؤامرة الكبرى، الخديعة، صراع العصابات على المستوى العالمي...)، وبالتالي جاء الخطاب الألسني شديد التركيز والتوجيه عكس الخطاب البصري



شاشة مقسمة إلى نصفين

4. خاتمة:

يستمد الفيلم الوثائقي قوته من خصائصه التي تميزه، وعلى رأسها المصادقية والموضوعية في نقل الوقائع، ويعتبر فيلم "هولد آب" من أكثر الأفلام الوثائقية انتشاراً وتأثيراً، بسبب تناوله لكيفية إدارة أزمة جائحة كورونا في فرنسا، بطريقة علمية، تبدو منطقية ومتماسكة، معتمداً على أسلوب العرض المنطقي للحقائق والتدرج فيها، والاستعانة بالإحصائيات، والمقارنة بين تجارب الدول في إدارة الأزمة، بالإضافة إلى توظيف شخصيات مرموقة في السياق المجتمعي، الأمر الذي يضيف مصداقية لمحتوى الفيلم، وجاء كل ذلك في قالب فني جمالي مؤثر على المشاهد. غير أن التحليل النقدي للفيلم أثبت أن صانعه استغلوا كل أساليب التضليل الإعلامي لإثبات رؤيتهم حول نظرية المؤامرة، كأسلوب التضليل بالتلاعب بالمعلومات وترتيب الحقائق، وأسلوب التضليل بالتعتيم والتغيب والحذف والتجاهل، والتضليل بالقراءة المخادعة للإحصائيات واستطلاعات الرأي الصحيحة، التضليل بالصورة، التضليل بتكرار الفكرة الخاطئة وترسيخها، والتضليل بالإيهام والتدليس في المصادر والمعلومات.

وبهذا أفرزت لنا هذه الجائحة تحديات للتعامل مع الوباء المعلوماتي الحاصل، وضرورة مواجهته بالاعتماد على وعي المتلقي نفسه في عدم الانجرار وراء تلك المعلومات، وترويجها، وضرورة التحقق من المعلومات العلمية حتى لو كان مصدرها الفيلم الوثائقي.

5. قائمة المراجع:

- ¹ - تحديد مفهوم الفيلم الوثائقي، مقال متاح على الرابط <http://bidayyat.org> تاريخ الزيارة 10.12.2020 الساعة 16.05.
- ² - خالد مطهر العدوانى، استخدام الأفلام الوثائقية في التدريس، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، العدد 62، مارس 2020، ص 11.
- ³ - مراح مراد، الفيلم الروائي التاريخي بين حرفة الحادثة التاريخية والمتخيل السينمائي، أطروحة دكتوراه في الفنون، جامعة وهران 1، 2019، ص 57.
- ⁴ - أمل الجمل، تطور الوثائقي والثورة الرقمية، الجزيرة الوثائقية، متاح على الرابط www.doc.aljazeera.net تاريخ الزيارة 10.12.2020، الساعة 12:50.
- ⁵ - بن عمارة سعيدة خيرة، الأفلام الوثائقية على المنصات الرقمية، مقال منشور في مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد 15، العدد 01، سبتمبر 2019، ص 229.
- ⁶ - أمير العمري، مستقبل الفيلم الوثائقي في عصر الانترنت، الجزيرة الوثائقية، متاح على الرابط www.doc.aljazeera.net تاريخ الزيارة 10.12.2020، الساعة 13:00.
- ⁷ - عدي قاشيش، مفهوم التضليل الإعلامي، متاح على الرابط www.Sotor.com تاريخ الزيارة 11.12.2020، على الساعة 12:15.
- ⁸ - السعيد بومعيزة، التضليل الإعلامي وأقول السلطة الرابعة، المجلة الجزائرية للاتصال، المجلد 09، العدد 18، د.ت، ص 92.
- ⁹ - عبد الرزاق الدليمي، إشكاليات الأخبار المفبركة وتأثيرها في تشكيل الرأي العام، دراسات إعلامية، مركز الجزيرة للدراسات، جويلية 2018، ص 06.
- ¹⁰ - نبيل لحمر، الأخبار الكاذبة عبر شبكات التواصل الاجتماعي وآثارها على اتجاهات الرأي العام، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، المجلد 07، العدد 02، 2020، ص 583.
- ¹¹ - منظمة الصحة العالمية، إدارة الوباء المعلوماتي بشأن كوفيد 19، متاح على الرابط www.who.int/news/item 09.12.2020، تاريخ الزيارة 23:15.
- ¹² - لارا خالد طماش، درجة إدراك الرأي العام الأندني للتضليل الإعلامي من وجهة نظر قادة الرأي، مذكرة ماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، 2015، ص 77.

- ¹³ - مجد نبيل عثمان، الدعاية والتضليل الإعلامي في الأفلام الأمريكية، مذكرة ماجستير في الإعلام، جامعة البترا، الأردن، 2015، ص 47.
- ¹⁴ - نزار خيرون، الأخبار الزائفة: الحرب الجديدة على وعي الشعوب، مقال متاح على رابط قناة الجزيرة www.aljazeera.net تاريخ الزيارة 11.12.2020، الساعة 21:00.
- ¹⁵ - *Laurent Julier, L'Analyse de Séquence, 3eme Ed, Armand Colin, Paris, 2011, P12*
- ¹⁶ - أحمد بن مرسل، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 197.
- ¹⁷ - جاك أو مون، ميشال ماري، م س ذ، ص 97.
- ¹⁸ - رحومى لبنى: صورة الذات والآخر في السينما الجزائرية، دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الأفلام السينمائية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة قسنطينة 3، 2017، ص 46
- ¹⁹ - جاك أومون، ميشال ماري، تحليل الأفلام، ترجمة أنطوان حمصي، منشورات دار الثقافة، دمشق، ص ص 86-89.
- ²⁰ - أحمد الخطيب، أشهر كتب نظريات المؤامرة، متاح على الرابط: www.sasapost.com/conspiracy-theories-books، تاريخ وتوقيت الزيارة: 19.00، 2020/12/3
- ²¹ - هولد آب، فيلم فرنسي حول فيروس كورونا يثير جدلا كبيرا، متاح على الرابط www.diiwanfm.net، تاريخ الزيارة 11.12.2020، على الساعة 21:40.
- ²² - بوعلام غبشي، غريغوار سوفاج، فيروس كورونا ونظرية المؤامرة.. جدل حول الفيلم الوثائقي الفرنسي "هولد آب"، موقع قناة فرانس 24 www.france24.com، تاريخ الزيارة 11.12.2020، على الساعة 22:25.
- ²³ - المرجع السابق.
- ²⁴ - متاح على الرابط: www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/when-and-how-to-use-masks، تاريخ الزيارة 11 ديسمبر 2020، 19.00
- ²⁵ - *Adrien Sénécat et Assma Maad, Les contre-vérités de « Hold-up », documentaire à succès qui prétend dévoiler la face cachée de l'épidémie, disponible sur site www.lemonde.fr/les-decodeurs/article/2020/11/12/covid-19-les-contre-verites-de-hold-up, consulté le 10/12/2020*
- ²⁶ - *Décryptage "Hold-up": mécaniques du documentaire qui dénonce une "manipulation mondiale" du Covid-19, disponible sur site www.courrierinternational.com/article/decryptage-hold-mecaniques-du-documentaire-qui-denonce-une-manipulation-mondiale-du-covid-19, 10/12 :2020*